علامات في ذكراها العشرين

عشرون سنة أربعون عددا

حينما أقدمنا سنة 1994، نحن مجموعة من أساتذة كلية الآداب بمكناس، بمبادرة من صديقنا الراحل عبد العلي اليزمي، على إصدار مجلة جديدة تستلهم ما كان يعج به العالم المعاصر من ثورات علمية في حقول اللسانيات والسميائيات والشعرية والحجاج والفكر عامة، كنا نلتمس كوةً نطل من خلالها على هذا العالم الرحب الذي يوفِّرُ هواءً جديداً يتنفس فيه الباحثون. وهو الهواء الذي أتاح لنا تجاوز الصورة المشوهة لتراثنا الأدبي واللغوي والفكري كما صاغتها قوى المحافظة التي تقرأ التراث بالتراث متورّطة بما يشبه التغذية الذاتية التي تصيب الجسد بالهشاشة، جسد الإنسان أم الحيوان أم الثقافة. وبهذا التزاوج عملنا على ردم الهوة بين تراثنا وتراث أندادنا من الآدميِّين. وبهذا أيضاً حققنا الخطوة الأولى لإدخال تراثنا إلى العالمية.

كانت علامات في هذه العشرين سنة الماضية المحفل الذي حاول التعريف بالأفكار الجديدة التي تهب رياحها من الغرب، في اللغويات والسيميائيات والسرديات والبلاغة والشعرية والحجاج والإشهار والإيديولوجيا الخ. وإن الترحيب الذي خُصَّت به عند الطلبة والباحثين والمهتمين ليشعرنا اليوم بالاعتزاز بأن عملَنا لم يكن هدراً. كما يشعرنا بأن هذه المعرفة قد اكتسبت صفة المواطنة. إلا أننا لا نستطيع أن ندعي، اليوم، بأننا قد أدركنا الغاية التي كنا نتطلع إليها. فليست هذه الوظيفة البيداغوجية أو التعريفية ومحاولات التلقيح العلمي، هي مسعانا النهائي. إننا نتطلع إلى أن يكون بلدنا صانع أفكارٍ جديدة. وتلك مهمة لا يمكن النهوض بها إلا في إطار تصور مشروع مجتمعي شامل، قوامه حداثة لا تساوم على مبادئها.

صحيح أننا قد اشتغلنا في شروطٍ مطبوعةٍ بالفقر. ذلك الفقر الذي طالما تذرع به البعض للتنصل من القيام بالواجب. ومع ذلك، فإن هيئة مجلة علامات تعتز بذلك الفقر اعتزازاً كبيراً، حينما تلاحظ أنه الصورة الغالبة على طلابنا في كلية الآداب، والصورة الغالبة على جموع كبيرة من بسطاء شعبنا في كل مكان من هذا الوطن.

إلا أن هذا الفقر المادي مفيد لأنه يؤمِّن استقلالية الفكر. أليست هذه مأساة التليفزيون في بلادنا؟ إن الذين ينفقون عليه يعرفون لماذا يفعلون ذلك. هذا العبء، بل التقشف، تحمَّله معنا الكتاب. ومع ذلك، فالقراء وحدهم يجنون ثمار هذه التضحية. ونحن بطبيعة الحال نعرف من هم قراؤنا. إنهم المحرومون من الناس، الذين نجدِّد وفاءنا لهم في مجلة علامات، كما حرصنا على هذا الوفاء في أقسام الجامعة ومدرجاتها. أما الرافلون في الوفرة فلا هم يفكرون فينا، ولا نحن نلتفت إليهم.

وبعدُ، فهل يمكن في ذكرى مجلة علامات العشرين هذه، أن ننسى أننا قد فقدنا في هذه المسيرة الطويلة، بل في هذا الدرب المضيء، ذلك المناضل العظيم، وأحد أبناء الشعب الكادح، رئيس تحرير مجلة علامات، المرحوم الأستاذ عبد العلي اليزمي. فلتكن ذكرى علامات العشرينية وفاءً لروحه.

عبد العلي اليزمي مازال حيا

علامات